فان قلت في السموات والارض دل لغة على العقلاء فما بالها لم تعتبر وهنا فيقول قلت ما يتأول وهو الاحكم كلها
تتأول بالاشياء لان قوله تعالى اني رأيت احد عشر كوكبا وهو منام فيكون اولى بارادة العموم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة رأيت في المنام كأن في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما وفي رواية
فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي احدهما العنسي
قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة قتله وحشي بالشام وقوله تعالى رأيتهم لي ساجدين
وقوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون
حمل بعضهم الدواب على العقلاء تغليبا وقال الزمخشري انما عبر بما لان المراد بها الجنس
اذا كان بمعنى صيرة كقولك صير الطين خزفا وصير الحديد سيفا او بمعنى خلق فيها الحياة
المقدورة للجعل معنى التقدير كما قدر في شيء شيئا او بمعنى شرع وحكم كقوله تعالى وجعل
وجعل الظلمات والنور ان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور الذي اثارها فجعل الآلهة هنا
واحدا ما تأول الظلمات بالمقدد الاخس كقولهم والملك على رجائها او كان الظلمات كثيرة
لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظلم بهي الظلمة فقد قال الظلمة فانه من جنس واحد وهو الليل وقال
قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله او على ان الله حقيق بالحمد
على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمه واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما
خلق من الآيات ليدل به على انه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يعد ولا يضر ولا ينفع فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد
ان يعدلوا به بعد وضوح الآيات قدرته وكذلك قوله ثم قضى اجلا استبعادا لان يمتروا فيه بعد ما شاهدوا فيه من بديع قدرته
واتقانه ثم انتم تمترون اجلا الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين ان خلق الانسان وان مات وان
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المسمى النكرة اذا اعيد
خبرا وجب تعريفه فما جاز ابتداؤه قلت لانه تخصص بالصفة تقارب المعرفة
كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم قلت الكلام السابق يقال عندي ثوب جيد وعندي كبش سمين
فلذلك فما اوجب ان يجيء الثاني كذلك قلت وجه ان المعنى واجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جاء في هذا المعنى
وجب ان يجيء المعنى ثم انتم تمترون في الساعة ان تجيء وهو الذي يقال له اسم نكرة لا يشركه فيه غيره هذا
الاسم ويجوز ان يكون المراد بالسموات والارض بعني انه عالم ما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كما ان ذاته ليس كذات فلا
كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقرره الآن الذي استقر في علم السيد
والملائكة عرفوه وصح وكذلك ان جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو بكلام مبتدا المعنى هو يعلم سركم وجهركم
او خبره الثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويجب عليه ويجازي من يشاء ومن آياته للاستغراق من آيات ربهم
للتبعيض صفة وما يأتيهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين
فتقلد كذبوا مردود على كلام محذوف
كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية وأكبرها والحق الذي جاءهم يعني القرآن الذي تحدى
به بلغاءه وفصحاءه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن والخبار والحال
يعني سيعلمون بالتأمل حقيقة ما كانوا به يستهزئون ويتدبرونه بعد ان كانوا يعرضون عن التدبر ألم يروا كم
اهلكنا قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
فكفروا بانعمنا فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين فلم يشكروا شكرها ولم يؤمنوا ايمانها
فكيف يؤمن هؤلاء ان لم يؤمن اولئك وقيل ان هؤلاء اهل مكة وما اعطيناهم ما لم نعط اهل مكة من طول الاعمار
والسعة في الاموال والاستظهار بالسلاح والعدد والآلات المختلفة لان الآيات التي جاءتهم اعظم من الآيات التي
جاءت اولئك من انشقاق القمر وانقلاب العصا حية وغير ذلك وقيل ان السحاب والمطر
والدور والقصور اكثر مما كان لاولئك فما يؤمنهم ان يكون آخر من هذه الآيات ما يلجئهم الى الايمان
ان اهلكناهم فنزلوا بساحتهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون فلم يأمنوا مكر الله الا القوم
الخاسرون فلا يأمن مكر الله الا من خسر دينه ونفسه وأهله يوم القيامة ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم
من قرن مكناهم في الارض مكنة لم نمكنها لكم ما نافية ومن مزيدة للتوكيد والضمير في مكناهم
لعاد وثمود وقوم نوح وقرونا بين ذلك كثيرا وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
فكذبوا رسلهم فاهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فلم يغن عنهم استظهارهم بالقوة
والكثرة شيئا ولو شاء لاسمعهم كلام تفهم وتدبر سماع طاعة وقبول لتولوا وهم معرضون عنه
كأنهم لم يسمعوه ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون فيه صعودا متتابعا
لقالوا انما سكرت ابصارنا سدت من السكر وهو انحلال قوى البدن وفتور الاعضاء وقرئ سكرت
بالتشديد للتكثير بل نحن قوم مسحورون سحر فخيل الينا ما لا حقيقة له وقرئ سكرت من سكر النهر
اذا انسد مجراه وقيل سكرت حبست من الابصار من السكر وهو حبس الماء ولقد جعلنا في السماء بروجا
منازل للشمس والقمر او للكواكب السيارة وهي سبعة زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر
سميت بروجا لظهورها وزينا السماء للناظرين بالكواكب وحفظناها من كل شيطان رجيم من كل
شيطان رجيم فما لهم لا يؤمنون بقدرتنا على ما هو اعظم من ذلك وهو خلق السماء وحفظها
من الشياطين الا من استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب مضيء يثقب الجسم النير بضوئه او يحرقه
بثقبه والارض مددناها بسطناها لتستقر عليها ساكنوها وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
لئلا تميد بكم وأنبتنا فيها من كل شيء موزون مقدر بمقدار تقتضيه الحكمة او معلوم عند الله
او عند الوزان او يوزن ما ينبت منها في بعض الاوقات دون بعض كالذهب والفضة والحديد
والنحاس وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس والمراكب وغير ذلك
وجعلنا لكم من لستم له برازقين عبيدكم وانعامكم وما ملكتموه فان رزقه عليكم وقيل
الانعام خاصة لان العبيد يرزقون انفسهم بالاكتساب وقيل ما يعم الكل لان ما من حيوان
الا الله رزقه وان عيل صبره وقل كسبه وان ما عندنا من الرزق لا نعطيه الا بقدر معلوم
وان نسبة ما نعطيه الى خزائننا كنسبة القطرة الى البحر وما ننزله الا بمقدار معين
على حسب ما تقتضيه الحكمة وارسلنا الرياح لواقح حوامل للسحاب او ملقحات للشجر
من قولهم لقحت الريح الشجرة فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
بحافظين بل الله هو الحافظ له وان شاء اذهبه وان شاء اغار عليه وقيل ما انتم له بمرسلين
بقادرين على ارساله من السحاب الا بمشيئة الله وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون
الباقون بعد فناء الخلق كلهم ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين
في الخير او المتقدمين في الطاعة والمتأخرين فيها او المتقدمين في صفوف القتال
والمتأخرين عنها او المتقدمين في الولادة والمتأخرين فيها وقيل نزلت في امرأة حسناء
كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم الى الصف الاول
لئلا يراها وبعضهم يتأخر حتى اذا ركع نظر من تحت ابطه فانزل الله تعالى هذه الآية
وان ربك هو يحشرهم يوم القيامة انه حكيم في افعاله عليم بمصالح خلقه ولقد خلقنا الانسان
يعني آدم من صلصال من طين يابس يصلصل اذا نقر من الصلصلة وهي الرائحة المنتنة
من حمإ مسنون متغير من سننت الحمأة اذا غيرتها والجار متعلق بخلقنا او بمسنون
والجان ابو الجن او ابليس او كل الجن من مارج من نار من خالص النار او من لهبها الصافي
او من اختلاطها بسواد النار او من دخانها الذي يعلو اللهب او من لسانها الذي يعلو اللهب
وهو الذي يرى في طرفها عند الاطفاء كالسراب الذي يرى في الهواء نصف النهار
من نار السموم التي تقتل وقيل هي نار تخرج من بين طبقات النار لا تضر بشيء تمر به
واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين
لم يكن ان يكون معهم لان الاباء لا يوجد مع السجود وانما يوجد مع الامتناع منه
قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين ما زائدة والمعنى ما لك امتنعت من السجود
قال لم اكن لم يصح ولم يستقم لي ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون
فاخرج منها فاسقط منها او من الجنة او من السماء او من الجنس او من الخلقة التي انت عليها
فانك رجيم مرجوم او شيطان يرجم بالشهب من يدنو منك بالوسوسة
وان عليك اللعنة الطرد من الرحمة الى يوم الدين قال رب فانظرني فاخرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني بسبب اغوائك اياي
لازينن لهم في الارض المعاصي ولاغوينهم اجمعين بالاضلال عن الهدى الا عبادك منهم
المخلصين الذين اخلصتهم للطاعة قال هذا صراط علي مستقيم اشارة الى ان اخلاص العباد
اليّ امر لا سبيل للشيطان اليه او هو وعيد له ان لي في اخلاص عبادي طريقا مستقيما
اليّ في اثابتهم وانعامهم عليهم وانت لا سبيل لك الى ذلك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين الذين استحقوا النار بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم
اجمعين لان الشيطان وكل من تبعه من الغاوين فيها سواء لها سبعة ابواب
لكل باب منهم جزء مقسوم معلوم من الغاوين على قدر منازلهم في الغواية
ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين من كل مكروه ونزعنا ما في صدورهم
من غل من حقد كان بينهم في الدنيا اخوانا حال على سرر متقابلين لا ينظر بعضهم
الى قفا بعض لا يمسهم فيها نصب تعب وما هم منها بمخرجين ابدا نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال انا منكم وجلون خائفون قالوا لا توجل لا تخف انا نبشرك بغلام عليم بولد يبلغ
العلم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون استفهام تعجب من عادة الله
قالوا بشرناك بالحق بالامر الثابت الذي لا بد منه فلا تكن من القانطين الآيسين
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون الا المخطئون طريق المعرفة والصواب
قال فما خطبكم ما شأنكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين كافرين
لنرسل عليهم حجارة من طين لنهلكهم الا آل لوط انا لمنجوهم من العذاب اجمعين
الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين الباقين في العذاب مع الكفار فلما جاء آل لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون لا اعرفكم قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يشكون
وآتيناك بالحق اليقين وانا لصادقون فيما نقول فاسر بأهلك بقطع من الليل
واتبع ادبارهم كن على اثرهم حتى يأتيك امرنا وامض حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك
الامر قضاء وأوحينا اليه ان دابر هؤلاء مقطوع مستأصل مصبحين داخلين في الصبح
وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون طمعا في الفاحشة بأضياف لوط فقال لوط لقومه
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بي بارتكاب الفاحشة واتقوا الله ولا تخزون لا تذلوني
بسوء صنيعكم قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تضيف احدا او تجير عليه
قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين قضاء الوطر فانكحوهن ولا تتعرضوا لاضيافي
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يتحيرون وما رأيت خطابا اكرم من هذا الخطاب
حيث اقسم بحياته على عظم ما دهاهم فاخذتهم الصيحة حين اشرقت الشمس
فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين طبخ طبخ الآجر والجص
ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين الذين يعرفون حقيقة الشيء بسمته وهيئته
وانها لبسبيل مقيم وان مدين وهم قوم شعيب لبطريق لواضح يسلكه الناس
ان في ذلك لآية لعبرة للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين كافرين
فانتقمنا منهم وانهما لبامام لبطريق واضح يؤتم ويسلك ولقد كذب اصحاب الحجر
وهم ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكذبوا جميع المرسلين لان من كذب
رسولا واحدا فقد كذب الكل لاتفاقهم على التوحيد والنبوة وآتيناهم آياتنا
الناقة وما فيها من الآيات فكانوا عنها معرضين لا يتفكرون فيها وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من النقب والانهدام فاخذتهم الصيحة مصبحين وقت الصبح
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء الحصون والقوة وما خلقنا السماوات والارض
وما بينهما الا خلقا ملتبسا بالحكمة دالا على القدرة وان الساعة لآتية فتجازى كل نفس
بما عملت فاصفح عنهم الصفح الجميل اعرض عن ايذائهم اعراضا لا جزع فيه
ان ربك هو الخلاق الكثير المخلوقات العليم بكل شيء ولقد آتيناك سبعا من المثاني
هي الفاتحة سميت بذلك لانها تثنى في كل صلاة او لان نزولها مرتين مكة والمدينة
او لان كلماتها مثناة في التكرار كالرحمن الرحيم او لان معانيها مثناة بالوعد والوعيد
والامر والنهي والقصص والعظات والقرآن العظيم وهو اسم جامع للكتاب المنزل
لا تمدن عينيك نهي له عن استحسان حال الكفار والتمني لمثل ما هم فيه
من زهرة الحياة الدنيا ما متعنا به ازواجا اصنافا منهم وقرئ بفتح الزاي
وهو لغة فيه نهي عن التمتع بما متعوا به والحزن على ما لم يؤتوا منه
واخفض جناحك لهم تواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين
من عذاب الله كما انزلنا على المقتسمين على اليهود الذين اقتسموا طرق مكة
على كل طريق منها يقعد رجل منهم يقول لمن سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ساحر وقال بعضهم انه كاهن وقال بعضهم انه شاعر وقال بعضهم انه مجنون
او على النصارى الذين اقتسموا كتابهم فجعلوه اناجيل شتى وكفروا ببعضه
الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة من عضى الشاة اذا فرقها
فوربك لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ عما كانوا يعملون في الدنيا
فاصدع بما تؤمر اجهر بما امرت به من الدين وقيل ما بمعنى المصدر
اي فاصدع بامرك وقيل هو من الصدع الذي هو الفرق اي فرق بين الحق والباطل
واعرض عن المشركين ولا تلتفت الى استهزائهم انا كفيناك المستهزئين
الذين استهزأوا بك وبالقرآن وهم خمسة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن الطلاطلة
فسوف يعلمون عاقبة استهزائهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
من الاستهزاء وغيره فسبح بحمد ربك فصل له وكن من الساجدين المصلين
واعبد ربك واثبت على عبادته حتى يأتيك اليقين الموت وقيل ما هو بعد
ما يأتي من الامور المقتضاة الامر بعبادته عند حلولها لان العبد في كل حال
يتوقع فيها الموت فيحتاج الى العبادة فيها ليلقى الله وهو راض عنه
والسلام

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1